والخيال ، ويعنى بتخريج الألفاظ اللغوية ، غافلاً عن النكتة المقصودة من فصل « قزح » عن « قوس » أو متجاهلاً لها ، وهو ما صنعه الرافعى

أما ما ذكره الأستاذ شاكر من قول شوقى ورأي العقاد فيه فالأمر فيه مختلف جداً . فشوقى فى بيته لا يذكر « قوس » أى ذكر ، وإنما يورد « قزحا » وحدها ويقصد بها « قوس » كما يفهم من معنى البيت :

قصراً أرى أم فلكا وشجراً أم قزحا ؟

فكان الحق مع العقاد أن يقول : « ولا تذكر قزح إلا مع قوس » ولكنه لم يوجب فى قوله هذه ألا تفصل منها كما أوجبه الرافعى خطأ . وفرق بين تحتيم ذكرهما معاً وتحتيم اتصالهما كما لابد أن يفهم الأستاذ !

على أنه يبقى بعد ذلك كله أن كلام شوقي لم يكن يتضمن « نكتة » خاصة كالتى تضمنها كلام العقاد ، وتوجيه الكلام يقتضى بعض التصرف فى عرف الأحياء !

هذا حديث قد أطلت فيه ، ولكنه ليس موجها لأن يكون رداً على الأستاذ شاكر فيما كتب ، وإلا فالمسألة أهون من هذا ؛ إنما أردت به تصفية الموقف فى طرق النقد ، وما يجب أن يتوفر لها من فهم ودقة ويقظة ... وحياة !

(حلوان) سيد قطب

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدينة

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نفسها
الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ١٣ —

أحس لنكولن ذلك فهو وإن لم يكن يعرف الذهاب بنفسه يدرك اليوم أن قد صار له فى السياسة مكانة الزعماء ، فلقد انتشر اسمه خارج مقاطعة الينوس وتقبله الناس بقبول حسن ، فهم يضمرون لصاحبه المودة والإجلال . رشحه رجال الحزب الجمهورى فى مؤتمرهم الأهلى أثناء الانتخاب لمركز نائب رئيس الولايات على غير سعى منه إلى ذلك فنال من الأصوات عشرة ومائة وهو بعيد ؛ فلما جاءه نبأ ذلك تبسم ضاحكا وقال : « حسبت أول الأمر أن هنالك رجلا آخر عظيما فى مساشوست يدعى لنكولن »

ولقد تألمت نفسه وانكدرت لذلك الحكم ؛ تلمح ذلك فيما عقب به عليه ، إذ أخذ يقارن حال العبيد يومئذ بما كان يرجى لهم غداة إعلان الاستقلال قال : « فى هاتيك الأيام كان إعلاننا الاستقلال أمراً يعتبره الناس جميعاً مقدساً كما اعتبروه ينتظم الجميع ؛ أما اليوم فقد هوجم وسخر منه وأوّل وفق الأهواء ، ومزق شر ممزق ، حتى لو أنه أمكن أن يبعث صانعوه اليوم من مراقدهم لما أمكن أن يتعرفوه ؛ وذلك بما فعلنا من محاولتنا جعل عبودية الزنجى أمراً عاماً أبدياً . فإن جميع قوى الأرض لتظهر كأنها تتحدر سريعاً عليه ؛ فإله المال (ممون) فى أعقابه ومن ورائه الطمع ، ثم من وراء هذا الفلسفة ، تناولها جميع نظريات العصر التى تتكاتف جميعاً فى سرعة لتؤيد الصيحة ضده . لقد ألقوا به فى سجنه بعد أن فتشوه ولم يدعوا فى يده أى آلة ينقب بها الجدار ؛ وأغلقوا عليه الواحد بعد الآخر أبواباً ثقيلة من الحديد ؛ والآن يذرونه فى سجنه وعلى بابه قفل من الحديد ذو مائة مفتاح ، لا يمكن فتحه إلا أن تتفق على ذلك كل هاتيك المفاتيح ؛ وإنها لفى أيدى مائة من الرجال مختلفين مبعثرين فى مائة مكان مختلفة سحيقة ؛ وإنهم ليفكرون فوق ذلك ليتبينوا أى اختراع فى كافة نواحى العقل والمادة يمكن أن يضاف إلى ذلك ليكون استحالة هربه أكثر توكيداً مما هو عليه .

وحق لأبراهام أن ينطلق لسانه بمثل هذا التضجر ، وأن تجزع نفسه لهذا الحكم فإنه ليراه ينطوى على كثير من المعانى وكلها على غير ما يحب لحزبه الوليد وللقضية الكبرى التى يتوقف على مآلها مصير البلاد . أليس يقضي هذا الحكم بأن المجلس التشريعي للولايات هو الذى يحدد من غير قيد ماذا تكون عليه حال الولايات من حيث مسألة العبيد ؟ وإذاً فما قيمة اتفاق سورى ، ثم ما نصيب هذا الحزب الجديد من القرب أو البعد من روح

القانون وهو الذى يجعل اتفاق سورى القاعدة التى يصدر عنها فى أعماله ؟

إنها فى الحق لمعضلة ؛ ولكن هل كان يضيق هـذا القلب الكبير بالمعضلات ؟ وهل يتخاذل إيمانه لدى الصعاب وهو الذى يقل الصعاب وينهض لجسيمات الامور ؟ كلا ، إنه ليحس قوة نفسه تعظم بقدر ما تعظم الشدائد . وهو كغيره من أولى العزم من الرجال لا يتذوق حلاوة النصر إلا فى مرارة المقاساة ...

وظلت الأحداث تأتى بعضها فى أثر بعض ، فهذه كنساس تتوثب فيها الفتنة ويتحفز الشر ، راحت تضع لها دستوراً فأخذت تختار من رجالها من يعقدون مؤتمراً لهذا الغرض ، فانظر كيف يحال بين الأحرار وبين أمانيهم بالقوة المادية فيجرى الانتخاب فيهـا على صورة تشعر النفوس البريئة بالألم اللاذع أن ترى الأغراض الوضيعة تنزل فيها بالعقلاء من البشر إلى مرتبة البهائم، ويبيت النـاس وكأنما لم يكن الوجدان يوماً ناحية من نواحى نفوسهم . فهم فى ضراوتهم وبهتانهم يظهرون فى مظهر تخجل منه الآدمية التى تشعر بحقيقتها

ويأبى الرئيس بيوكانون إلا أن يعتمد قرار المؤتمر فيقبـل الولاية فى الاتحاد على أنها إحدى الولايات التى تأخذ بنظام العبيد كما جاء فى دستورها ؛ ولشد ما تألم لتكولن لهذا ، ولكنه كان عنده ذلك الألم الذي يلد العمل ويبتعث الأمل ويغرى المجاهدين بالجهاد ؛ ولو لا أن كان من المؤمنين الصادقين لتطرق إلى نفسه الوهن ومشى في عزمه اليأس ...

ووثب لمناهضة دستور كنساس رجل آخر يعد موقفه فى ذلك غريباً لأول وهلة ، وذلك هو دوجلاس عضو مجلس الشيوخ ومنافس لنكولن الشديد البأس . رأى أن قرار المحكمة العليا قد قضى على ما راح يدعو إليه من توطيد مبدأ سيادة الولايات في تقرير مصائرها . ذلك المبدأ البراق الذى ظل يخلب به الألباب ويلوح به لأهل الجنوب ليكونوا عدته في الوصول إلى الرياسة . ولقد بات من أمره فى حيرة شديدة ، فهو يخشى أن يفقد محبة أهل الجنوب إذا عارض دستور كنساس ؛ بينما هو يخشى كذلك أن يفقد ثقة أهل الينواس إذا هو نسى مبدأ سيادة الولايات وسلطانها فيؤدى ذلك إلى خذلانه فى الانتخاب لمجلس الشيوخ وقد أوشكت مدته فيه أن تنتهى ...

ولكنه آثر الآن أن يحرص على ثقة أهل سورى فأعلن عداءه لدستور كنساس ، ووقف يحمل عليه فى المجلس حملات شديدة بعثت فى قلوب الديمقراطيين الغيظ وأثارت فى عقولهم الدهش ، فهذا الرجل الذى يعدونه من أقوى رجالهم لا يستحي أن يخرج عليهم على هـذه الصورة ولا يتورع أن يعارضهم فى فى غير هوادة كأنما انقلب بغتة فصار من رجال الحزب الجديد !

ولقـد هلل بعض زعماء الحزب الجديد لموقف دوجلاس واستبشروا به ، بل لقد أخذوا يمهدون السبيل لانضمام دوجلاس إلى حزبهم ليزدادوا به قوة ومنعة ! وراح جريلى أحـد رجال الصحافة من قادة هذا الحزب يدعو القراء إلى انتخاب دوجلاس وأخذ يثني على صفاته ويتوخى فى مديحه الأطناب والمغالاة. وكان هذا الرجل من أشهر رجال الصحافة فى الشمال وكانت له عند الناس مكانته ؛ كما كان لصحيفته عدد كبير من المعجبين

ولكن ابراهام قد أنكر على نفسه أن يقبل ذلك من رجال حزبه . وهنـا تعود للظهور خصلة من أبرز خصاله ألا وهى الاستقامة إذا صح أن تعبر هذه الكلمة عن المعنى الذى نريد ، والذى نراه ينحصر فى إطلاق النفس على سجيتها وسيرها على نهج من فطرتها فى غير تناقض أو تذبذب أو اضطراب . وما كان ابراهام يتكلف شيئاً لا يتحرك به وجدانه أو تستشعره نفسه ، ومن هنا كانت خطواته بطبيعتها مسددة إلى الغاية مفضية إليها مهما كثر ما يعترضه من الصعاب . ثم من هنا كان خطره إذا تحرك. انظر إلى قوله حين سمع بتلك الدعوة الجديدة : « لقد أتى جريلى بما لا يعد عدلا . إنى جمهورى من صميم الجمهوريين ولقد وقفت دائماً فى طليعة الصفوف عند المعركة . والآن أراه يفاوض دوجلاس خير من يمثل رجل الاتفاقات ، ذلك الذى كان مرة آلة أهل الجنوب والذى هو اليوم أحد معارضيهم ؛ ذلك هو الرجل الذى يحاول أن يضمه فى صفنا الأمامى ... انه يحسب أن مكانه الرفيع وشهرته وتجاربه ومقدرته إذا أحببت ، تقوم مقام حاجته إلى مركز جمهورى خالص ، بل وتزيد على ذلك ... ولذلك فأن إعادة انتخابه على أن يمثل قضية الحزب العامة أجدى علينا من انتخاب من هو خير منه من رجالنا الجمهوريين

الخلص الذين ليست لهم مثل شهرته ؛ ماذا تعنى «نيويورك تريبيون» بذلك الاطراء والاعجاب والتعظيم الذى تزجيه دائبة لدوجلاس ؟ هل تعبر بذلك عن شعور الجمهوريين فى وشنجطون ؟ هل وصلوا نهائياً إلى أن قضية الحزب الجمهورى على العموم تتقدم خيراً من ذى قبل بتضحيتنا هنا فى الينواس ؟ إن كان ذلك كذلك فنحب أن نعلمه عاجلا ؛ على أنى إلى الآن لم أعلم بجمهورى هنا يرغب أن ينضم إلى دوجلاس ؛ وإذا استمرت « التريبيون » ترن باسم دوجلاس فى مسامع الخمسة أو العشرة الآلاف من قرائها فى الينواس فأن ذلك يكون أكثر من أن نأمل معه أن يظل الشمل مجتمعاً ؛ إننى لا أشكو ولكنى أرغب فى أن أصل إلى بينة من الأمر »

ذلك هو لنكولن اليوم ؛ انظر كيف يجمع بين منطق المحامى وحصافة السياسى ، وانظر كيف يدفع عن نفسه بما نشأ عليه من دماثة ما يحس فيه عدواناً على شخصه ونيلا من كرامته ؛ فهو يطيق أن يكون دوجلاس خصما له ولكنه لن يطيق أن يراه مرشح حزبه فى الينواس ؛ نعم انه لن يستطيع أن يحمل نفسه على الركوب معه فى قارب واحد يراه يأخذ فيه مكان الربان وهو فيما يعتقد لا يرى كفايته تتقاصر عن ذلك المكان

وأرسل لنكولن بعض أصدقائه إلى الأقاليم الشرقية ليروا ما حال الحزب هناك ؛ وكان من هؤلاء صديقه هرندن ؛ وقد عاد إليه ينبئه بأن اسمه يقابل بالاحترام لدى الكثيرين من قادة الحزب بيد أنه يحمل إليه مع ذلك أنباء لا تسره ؛ فرجال الحزب منقسمون بعضهم على بعض ، فأن لجريلى آراءه ولستيورد أطماعه ولغيرهما من أساطين الحزب من أوجه الرأى ما يخشى منه انحلاله ...

هكذا صارت السياسة شغله الشاغل ، وهو لا يستطيع اليوم إلا أن يكون كذلك ؛ لا لأنه يتخذ من السياسة وسيلة إلى تحقيق أغراض شخصية كما عسى أن يفعل غيره ؛ ولكن لأن عقيدة تحرك نفسه وتستثير وجدانه ، ولأن رسالة من الرسالات الانسانية الكبيرة ينبض بها قلبه الكبير . وهل عهدنا عليه من قبل ما يحمل معه اشتغاله بالسياسة على غير محمله ؟ حاشا أن يكون ذلك من صفات أمثاله وإلا فما أضيع البشرية وما أهون أمرها .

على أنه لم ينفض يده من المحاماة بعد ؛ فحرفته التى يكسب منها قوته لا زالت حتى اليوم هى تلك الحرفة التى مال إليها بفطرته والتى ارتفع بها إلى مستوى إنسانى يحق معه لأربابها جميعاً فى كل جيل أن يذكروا اسمه كعلم من أعلام المدنية ، وأن يضيفوه إلى ما يعتبرونه فى مهنتهم من دواعى الشرف وبواعث المفاخرة

ومن أفعاله فى المحاماة يومئذ حادثة رويها لدلالتها على ما كانت تنطوى عليه تلك النفس الكبيرة من المعانى الانسانية ، تلك النفس التى لم يتطرق إليها ما يتطرق إلى النفوس فى هذا العالم الخبيث من خبائث تشوهها وأوشاب تذرى بها وهى فى حال غريبة ، تحار معها هل تعدها آدمية أم تعدها بهيمية ؟

وقع بصره فى إحدى الصحف على جريمة قتل يدعى أحد المتهمين فيها أرمسترنج ، فدهش وتساءل هل يكون ذلك ابن متحديه ثم صديقه القديم عند ما كان فتى يبيع فى الحانوت وهو غريب فى نيو سالم . ولما تبين له أنه هو كتب إلى أمه يقول : « عزيزتى مسز أرمسترنج : علمت الآن بألمك العميق وبألقاء القبض على ابنك متهماً بالقتل ؛ ويصعب على أن أصدق أنه عسى أن يرتكب ما اتهم به . إن ذلك لا يبدو ممكناً . وإنى لأرجو أن يجرى معه تحقيق عادل على أى حال ؛ وإن عرفانى بالجميل يحوك وما كان لى منك أيام شدتى من عطف طالت أيامه ليحدونى أن أتقدم فى سماحة نفس بخدماتى المتواضعة لصالحه ؛ فأن هذا سوف يتيح لى الفرصة أن أرد بقدر ضئيل تلك المبرات التى تلتها على يديك ويدى زوجك المأسوف عليه ، حيثما لقيت تحت سقفكم مأوى كريماً بغير مال وبغير ثمن »

وتبين لابراهام براءته فعمد فى دفاعه إلى طعن حجج المبطلين من الشهود . ومن ذلك أنه سأل أحدهم كيف رآه ينفذ الجريمة فأجاب إنه رأى ذلك على ضوء القمر ، فطلب المحامى نتيجة ، ومنها تبين للمحكمة أن ليلة القتل كانت ليلة معتمة ؛ ودار الدفاع حول تسفيه آراء الشهود حتى أصدرت المحكمة حكمها بالبراءة

« يتبع » الخضف

أطلبوا مؤلفات

محمود تيمور

وهى : الحاج شلبي . الأطلال . أبو على عامل أرتست . الشيخ عفا الله . الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء القصة وتطورها من جميع مكاتب القطر الشهيرة

كتاب « فرعون الصغير وقصص أخرى »

يظهر فى نهاية العام